

## المحاضرة السادسة: المعارف البيئية والسلوك البيئي وعلاقة الإنسان بالبيئة

### - مقدمة:

تعتبر البيئة المحيط الإنساني الذي يستمد منه البشر مقومات حياتهم ووجودهم، إلا أن هذه العلاقة شهدت تحولات جذرية نتيجة التطور الصناعي والتكنولوجي المتسارع. يبرز هناك دور المعارف البيئية كحجر زاوية في تشكيل وعي الفرد بمحيطه، حيث لا تقتصر هذه المعارف على المعلومات النظرية فحسب، بل تمتد لتكون المحرك الأساسي للسلوك البيئي المسؤول.

إن طبيعة العلاقة بين الإنسان وبيئته يتطلب الغوص في كيفية تحويل الوعي الإدراكي إلى ممارسات يومية تهدف إلى الاستدامة، فالجوة بين ما نعرفه وما نفعله هي التحدي الأكبر الذي يواجه حماية كوكب الأرض في الوقت الراهن.

### 1. علاقة المعارف البيئية بالسلوك البيئي:

تعد العلاقة بين المعارف البيئية والسلوك البيئي معقدة ومتعددة الأوجه، فبينما يعتقد أن زيادة المعرفة البيئية تؤدي بالضرورة إلى سلوكيات أكثر إيجابية تجاه البيئة، إلا أن الدراسات أظهرت أن هذه العلاقة ليست دائماً مباشرة. فالوعي والمعرفة هما شرطان ضروريان، ولكنهما ليس كافيين لتغيير السلوك، فالعوامل المؤثرة في السلوك البيئي تشمل أيضاً القيم، والاتجاهات، والمعتقدات، والأعراف الاجتماعية، والظروف الاقتصادية، والفرص المتاحة (ريغي، 2013).

#### ■ أمثلة توضيحية للعلاقة بين المعارف البيئية والسلوك البيئي:

- **المعرفة لا تكفي وحدها:** قد يدرك شخص ما مخاطر التلوث البلاستيكي على الحياة البحرية (معرفة)، لكنه يستمر في استخدام الأكياس البلاستيكية لعدم وجود بدائل سهلة أو بسبب العادات الاجتماعية (السلوك لا يتغير).
- **تأثير القيم والاتجاهات:** طالب يعرف جيداً عن أهمية ترشيد استهلاك المياه (معرفة)، ولكنه لا يطبق ذلك في منزله إلا بعد أن يغرس فيه المعلم قيمة المسؤولية تجاه الموارد المائية للأجيال القادمة (تغيير السلوك بفعل القيم).
- **دور الفرص المتاحة:** قد يرغب الأفراد في إعادة تدوير النفايات (معرفة ورغبة)، لكن عدم توفر صناديق فصل النفايات في الحي يمنعهم من ممارسة هذا السلوك (غياب الفرصة).

ومع ذلك، تظل المعرفة البيئية ركيزة أساسية لتشكيل السلوك البيئي المسؤول، فهي تزود الأفراد بالمعلومات حول المشكلات البيئية، وتأثيراتها، والحلول الممكنة، مما يمكنهم من اتخاذ قرارات مستنيرة.

على سبيل المثال: معرفة تأثير النفايات على البيئة يمكن أن ندفع الأفراد إلى فرز النفايات وإعادة تدويرها. لذلك، تسعى التربية البيئية إلى بناء قاعدة معرفية قوية لدى الأفراد، مع التركيز على ربط هذه المعرفة بالجوانب العاطفية والقيمية لتشجيع التغيير السلوكي.

### 2. علاقة الإنسان بالبيئة:

تطورت علاقة الإنسان بالبيئة عبر التاريخ، من علاقة اعتماد مباشر إلى علاقة تأثير وتغيير كبيرين. ومرت بالمراحل التالية:

■ **في العصور القديمة (قبل الثورة الزراعية):** كان الإنسان يعيش في وئام نسبي مع الطبيعة، معتمدا عليها بشكل مباشر في غذائه ومأواه (الصيد وجمع الثمار)، كانت المجتمعات القديمة تمتلك معرفة عميقة بالبيئة المحيطة بها، وكانت ممارستها غالبا ما تكون مستدامة بطبيعتها، مدفوعة بالضرورة واحترام عناصر الطبيعة.

**مثال:** قبائل السكان الأصليين في أمريكا الشمالية كانت تمارس الصيد بطرق تضمن استدامة إعداد الحيوانات، وتستخدم كل جزء من الحيوان دون هدر.

■ **الثورة الزراعية (حوالي 10.000 ق.م):** أدت إلى تغيير كبير في علاقة الإنسان بالبيئة، حيث بدأ الإنسان في استصلاح الأراضي وتربية الحيوانات، مما أدى إلى تغييرات في النظم البيئية المحلية (مثل إزالة الغابات لإنشاء حقول زراعية).

■ **الثورة الصناعية (القرن 18-19):** شهدت تحولا جذريا حيث أدت إلى زيادة هائلة في استهلاك الموارد الطبيعية (الفحم، النفط)، وتلوث واسع النطاق للهواء والماء والتربة، وتغيرات مناخية كبيرة. أصبحت العلاقة بين الإنسان والبيئة علاقة استغلال وتدمير في كثير من الأحيان (بوترعة، بن عمار، 2021).

**مثال:** تلوث الأنهار في أوروبا بالنفايات الصناعية، وظهور الضباب الدخاني في المدن الكبرى مثل لندن، مما أثر سلبا على صحة السكان.

■ **في العصر المعاصر (القرن 20 - الآن):** مع تزايد الوعي بالمشكلات البيئية العالمية (مثل ثقب الأوزون، الاحتباس الحراري)، بدأت تظهر دعوات لإعادة تقييم علاقة الإنسان بالبيئة، والتحول نحو نموذج أكثر استدامة، يتم التركيز على المسؤولية المشتركة، والتعاون الدولي، وتطوير التقنيات الصديقة للبيئة، وتبني أنماط حياة مستدامة.

**مثال:** توقيع الاتفاقيات الدولية مثل اتفاق باريس للمناخ، وتزايد الاستثمار في الطاقة المتجددة، وظهور حركة الشباب من أجل المناخ.

### 3. أهمية السلوك إيجابي تجاه البيئة:

إن تبني سلوك إيجابي تجاه البيئة أمر حيوي لتحقيق الاستدامة والحفاظ على كوكب صحي، فالسلوكيات الفردية والجماعية، سواء كانت صغيرة أو كبيرة، تتراكم لتحدث تأثيرا كبيرا على البيئة. تشمل أهمية السلوك الإيجابي ما يلي:

■ **الحفاظ على الموارد:** ترشيد استهلاك المياه والطاقة، وتقليل النفايات، وإعادة التدوير، كلها سلوكيات تساهم في الحفاظ على الموارد الطبيعية للأجيال القادمة.

**مثال:** إطفاء الأنوار عند مغادرة الغرفة أو القسم أو أي مكان، استخدام الدش بدلا من حوض الاستحمام، فصل النفايات المنزلية لإعادة تدويرها.

▪ **الحد من التلوث:** تقليل الانبعاثات الضارة، وعدم رمي النفايات بشكل عشوائي، واستخدام وسائل نقل صديقة للبيئة، يساهم في تقليل التلوث وتحسين جودة الهواء والماء.

**مثال:** استخدام الدراجة الهوائية للذهاب إلى العمل، أو اختيار المنتجات ذات التعبئة القابلة للتحلل، أو عدم إلقاء الزيوت المستعملة في المصارف.

▪ **حماية التنوع البيولوجي:** دعم الممارسات الزراعية المستدامة، وحماية الموارد الطبيعية، وعدم الإضرار بالكائنات الحية، يساهم في الحفاظ على التنوع البيولوجي الذي يعد أساساً لاستقرار النظم البيئية.

**مثال:** زراعة النباتات المحلية في الحدائق المنزلية لجذب الحشرات الملحقة، أو المشاركة في حملات الحيوانات، أو عدم شراء المنتجات المصنوعة من أنواع مهددة بالانقراض.

▪ **تعزيز الصحة والرفاهية:** البيئة النظيفة والصحية تساهم بشكل مباشر في تحسين صحة الإنسان ورفاهيته، وتقليل الأمراض المرتبطة بالتلوث.

**مثال:** العيش في منطقة ذات هواء نقي يقلل من أمراض الجهاز التنفسي، وتوفر المساحات الخضراء يساهم في تحسين الصحة النفسية وتقليل التوتر (زروق، 2014).

## - الخاتمة:

خلاصة القول، إن تعزيز العلاقة الإيجابية بين الإنسان والبيئة ليس خياراً ثانوياً، بل هو ضرورة حتمية لضمان بقاء الأجيال القادمة، لقد أثبتت الدراسات أن مجرد امتلاك المعارف البيئية لا يكفي لإحداث تغيير حقيقي ما لم يفتن بدوافع تحول تلك المعارف إلى سلوك بيئي مستدام ومنضبط.

إن حماية البيئة تبدأ من تغيير العقلية البشرية، ومن ثم الانتقال من دور المستنزف للمواد إلى دور الحارس الأمين عليها، لتصبح العلاقة قائمة على الاحترام المتبادل والتوازن الفطري بين الإنسان ومواطنه الأول.